

قَصَائِدُ مِنَ السُّورَاتِ

تَأَلِيفُ

تاج السَّامِعِينَ

جِبَالِي عَبْدَ الرَّحْمَنِ

وَلَدُ الْحَمِيدِ

بَيْرُوتَ

للمزيد من الكتب السودانية زوروا



www.mortada.org

قَصَائِدُ مِنَ السُّوَرَاتِ

تَأْلِيفُ

تاج السَّرايِين

جَبَّارِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ

دارُ الجَمِيلِ

بِیروت

جميع الحقوق محفوظة لدار الجيل

الطبعة الأولى

١٤١١م - ١٩٩١م

الاهداء

الى الشعب السوداني الباسل
في معركته من أجل حياة أفضل



جميع الحقوق محفوظة لإدار الجليل

الطبعة الأولى

١٤١١م - ١٩٩١م

الاهداء

الى الشعب السوداني الباسل
في معركته من أجل حياة أفضل



لمزيد من الكتب اضغط هنا لزيارة موقعنا على
الانترنت

WWW.ALMORTADA.ORG

تصدير

صدرت الطبعة الأولى من مجموعة «قصائد من السودان» في القاهرة - فبراير ١٩٥٦ - من «دار الفكر». حيث كَتَبَ مقدمة هذه الطبعة الشاعر المصري الراحل كمال عبدالحليم... ولقد أثارت هذه المجموعة منذ ذلك الوقت الكثير من المناقشات لما طرحته من تجارب جديدة في الشكل والمحتوى واعتبرها العديد من النقاد العرب إضافة أثرت حركة الشعر العربي المعاصر.

تصدر الطبعة الثانية من هذه المجموعة بناء على رغبة العديد من القراء والباحثين في السودان وإنحاء الوطن العربي الأخرى... أملين أن يجد فيها محبو الشعر ما يمتع العقل، ويثير الوجدان.



مقدمة

لا زال الشعر هو الفن الأول بالسودان والسودان
يضطرم بالشعراء، كما يضطرم بالثورة على الاستعمار
والرغبة في حياة جديدة...

والاستعمار هو الذي عاق حركة التطور الاقتصادي،
وحركة تطور الفنون الأخرى.

الأرض الغنية كانت تسيل للاستعماريين واعوانهم أرباحاً
وخيراً، وتضيق عن حياة الجماهير...

وفي هذا الفقر والضيق ترعرعت الصوفية، وغرق بعض
الشعراء في بحرها، وانصرفوا إلى الغيبات!

والبعض الآخر كاد يفرق وهو ينادي بأن الله لا يرضى
الظلم. وحكم الأجنبي...

* * *

وفي هذه الأرض ولد (تاج السر) عام ١٩٣٠ وبعد
عام ولد (جيلي عبد الرحمن). استقبلهم عام ١٩٣٠
المضطرب المتأزم المنتهيء للحرب.. والذي انتهى إلى
أبشع حرب عرفتھا الإنسانية.

وافترقا في تفاصيل الحياة!

وكان «تاج»

ذاك الفتى المهموم كالذكریات
ذاك الفتى الساهم مثل الشحوب^(١)
كانه كآبة جسدت
من كل أجواء الشتاء الكئيب

كان تاج أكثر ارتباطاً بالتربية السودانية. درج عليها،
وعاش بين ناسها، وانطبعت صورها في نفسه الشاعرة.

وكان أكثر تأثراً بالنشأة الدينية، بل إن جده ولى له
(قبه) في السودان... وفي السابعة عشرة انتابه ذھول
صار غيبوبة كاملة وهو في التاسعة عشرة، لم تنقذه منها
إلا الصدمات الكهربائية.

ثم جاء إلى مصر ليدرس، ويخلص من هذا الذھول!
واستغرق في إحساس بالغربة والحنين للسودان.

(١) من قصيدة عرف الغربة وهي ليست من قصائد الديوان.

وكان في مرحلة التفكير الصوفي يشعر بالغربة عن الكون
جميعه

أي طين جبلت من ذراته^(١)
وتغشيت في ردى ظلماته
كلما شمت في الحياة جمالا
دنست حمأة الثرى آياته
ثم تركز الإحساس بالغربة عنده حول وطنه وشعبه
فيقول في عيد الغريب:

واخوتي يا عيد هل عانقوا
فرحة أضوائك عند الصباح
أم ذكروني فبكى قلبهم
لغربتي واستسلموا للنواح

إلى أن يقول:
والغربة الحمقاء هذي العجوز
ترتع في الوادي وفي أرضنا
ساحرة تمتص معنى الحياة
معنى بقائي في بلادي أنا

* * *

ثم صور تاج في (لاجيء) وحشية العدوان

(١) من قصيدة مبكرة وليست في الديوان.

الصهيوني على الحياة الجميلة الآمنة، وربط إحساسه
بالغربة بمأساة اللاجئين:

ها أنت مثلي في رحاب الحياة
تمشي ولا تدري إلام تسير
وولّد فيه هذا الارتباط شعوراً جديداً أقوى من
الغربة والضيق:

فانت مني ونحن ترنيمة
ونحن صوت يتحدى القرون!
والقرون تعبير غير مباشر، وناقص، عن الأعداء
جميعاً!

واشعار الغربة عند تاج كثيرة، منها: «في ظلال
الأمس» و«عرف الغربة» من الشعر الذي لم يتسع له
الديوان والذي يفيض بصور الحياة في السودان... وهذه
الغربة في نفس تاج عامل من أهم العوامل المؤثرة في
شعره، وفي حياته. وهي ستلاشى في يوم من الأيام

وندفن الغربة لالن تكون
في الأرض هذه الغربة الشاحبة
نشعلها في النار تلقى بها
تذرها العاصفة الصاخبة

وهي تتلاشى شيئاً فشيئاً، وتتحول عنده إلى تأكيد
مستمر لمعالم القومية السودانية، إلى مجهود مباشر

للقضاء على (الغربة) عند شعبه إن صح التعبير،
وتعريفه للناس، وتمجيد صراعه.

* * *

وأشعار «تاج» تتدفق تصوّر السودان من وجهة نظر
الشعب، فنرى (الكاهن) الإقطاعي على حقيقته... في
قصره الذي يتعالى خلف أكواخ عبيد الأرض!

كاهناً هاجرت خطاه بعيداً
عند أرض المدينة الغناء

فتلاشت في نفسه صور القرية إلا حنينه للعطاء

نسي القائمين عند الجداول

نسي القابضين أيدي المعاول

غير همس النقود، همس السنابل

غير إضاءة الشريد الذاهل

غير لثم الحذاء، لثم الأنامل!

* * *

والبهو في قصر الكاهن من أجمل الصور التي رسمها
تاج، بل من أروع صور الشعر.

* * *

ثم ينفجر تاج في (ثورة) وإن كنا لا نستبين
معالمها، أو خط سيرها. فهي ثورة تضج بنفس الشاعر من
أجل بلاده.

سوف لا تنطوي بقلبي أحراني ولكن ستنقضي
أحراني
وإذا أيقظ النشيد قوى شعبي ونادي من عمقه
سوداني

* * *

ثم يصرخ في (المسوخ):
أنا لست جيفه
أنا أنة من شعبي المصفود حارقة مخيفه
أنا لست جيفه!
أنا شاعر قلبي تموج به الحياة هنا وريفه
صرخات داوية معبرة عن مأساة. والمأساة هي أنا.
وهي الشعب المصفود بشكل عام. أو هي الحركة التي لم
تتضح معالمها إلى أين؟؟
ثم يتحدد المكان. عطبرة مدينة الحديد واللهيب.
والشغيلة الأحرار والنضال.
وتبرز وجوه الأبطال. قاسم وسلام والشفيع!
وتبرز وجوه الشهداء. صلاح. قرشي. لتذكرهم
الجماهير. وتثار لهم.
وتبرز الأخوة المشرقة. وتتعانق أذرع الشغيلة في
السودان وعمال لانكشير المضربين وشمال إفريقيا الذي
يحمل السلاح. أشياء لم تكن تقال.
وهذه التجربة الضخمة. يختار لها صياغة جديدة
غنية بالألوان والظلال.

ولكن عطبرة ليست إلا أول رحلة تاج «هي نقطة
البدء من السودان ليرتبط بالعالم كله»...

* * *

أما (جيلي) فهو لم ير أباه، ولم تلفه ذراعاه إلا في مصر.
عرفت عائلته الهجرة، والغربة. ولكن من أجل القوات.

وبدا (جيلي) الرحلة إلى مصر في التاسعة، لا
التاسعة عشرة، مع أمه ليلحق بأبيه. وعمه واقف فوق
الأرض الجدية يودعهما:

«بني.. إذا ما وصلت بخير
وأعطاكم الله.. من عنده!
فقل لأبيك: تذكر أخاك
تذكره دوماً... على بعده...»

ولم ينس (جيلي) هذا الصوت... ولكنه اختار طريقاً
آخر ليحفظ به لعمه، وله، ولشعبه حق الحياة الكريمة!
وفي مصر غرق جيلي مع الناس البسطاء. وغرقت
معه الغربة في حياة واسعة.
فهو في الحارة. والشارع. والقرية. مع العمال
والفلاحين والطلبة والحرفيين وسائر الناس البسطاء.
وعبر عن اندماج طفولته في السودان بصباه
وشبابه في مصر...

* * *

يقدم لنا حارة «زهرة الربيع» في سرد واقعي بسيط،
حبيب إلى النفس البسيطة.

«حارتنا مخبوءة في حي عابدين»

يقدمها لنا من (الصفحة) التي تحمل اسمها. إلى
لهو الأطفال وحديثهم البريء الفقير، ويهزنا من أعماقنا
عندما

«انزلت عيونهم في ثوبه القديم»

* * *

ثم يقدم لنا (شوارع المدينة) صورة قاسية. قسوة
الصراع الطبقي.. ويعلو الدخان. ويدور المصنع - ويرسل
(الإله) عيونهم في الحارات يقطعون الطريق ويعذبون
الإنسان فيقول:

وكنت والرفاق في النهار نستعيز
ونسأل الصباح في ابتهالة العجوز.
حزمتين من ضياء!

والاستعازة. والسؤال في ابتهالة العجوز لا تجلب،
ولم تجلب حزمة واحدة من ضياء، ولعل (جيلي) قد أدرك
ذلك.

* * *

ثم يخرج جيلي إلى طبيعة أرحب، وحياة أخصب
في القرية المصرية، ويصورها لنا. نحن المصريين، كما
لم يصورها لنا شعرنا المصري! ففي (الفجر في قرية) -

والاقتباس غير ممكن لأنها كلها صورة مكتملة - يقول:

«وتلاقت أشباح تمشي
عبر الدرب. صوب المسجد
وصباح القشدة... يا أحمد
وصباح الخير...
وتصافحت الأيدي الخشنة»

أما في (عزاء في قرية) فالطبيعة تساهم في العزاء
وتلوح أكوام المنازل وهي ترقد كالنفوس
صدئت كحظ النائمين بها، وشاخت كالنفوس
والقرية عنده خليط من الناس والحيوان، ومن
التطلع والألم، ومن مصر والسودان... ولعل هذا يفسر لنا
روعة هذا الانطلاق
فالأكواخ واحدة هنا وهناك، والنيل واحد، والمأساة
واحدة فهو يقول في (عبري):

وساقية مرنحة تجرجرها قوى الثور
وتجثم خلفها الأخرى وتشكو قسوة الهجر
أجل قد ماتت الأبقار والمحصول لا يغري
ونجري نحن أغراً. ونلقي الطوب في البئر
ونبني كوخنا المختار بالطين، وبالصخر
فمأدبة بلا خبز... وزيجات بلا مهر!!
وفيها يقول:

وعيشا قد عرفناه حثالات من البر

نجهز ذبحة الضأن، لعيد الفطر، والنحر
فنشبع فيهما لحما. ونعطي البعض للغير

* * *

ومأساة القرية عنده ليست بلا حل. فهو بعد أن
يفرغ من العزاء يقول:

ودلفت والقمر الطروب يذيب أحزان الشجر!
وتماوجت في خاطري صور الصباح المنتظر
غير أن هذا الفجر الذي يراه هو، لا يراه الفلاحون.
لقد كانوا:

يفغمون، ويفرقون
وفي انكسار يطرقون
ومن العيون الذابلات تضج أحقاد السنين
وعلى الوجوه الشاحبات مرارة العيش المهين!
ليتته رآه في عيونهم، كما رآه في (قصة فلاح)^(١).
فإن فجرنا لن يصنعه إلا ملايين العمال والفلاحين. الأرجل
الغائصة في الطين، والأيدي التي تخلق الحياة في مصر
والسودان.

* * *

وفي كوريا يبرز التفاعل المتبادل بين ثورة الشاعر
وبين الحرب التحريرية هناك... وهي انطلاق في

(١) قصيدة لم تنشر في الديوان.

الموضوع، لكنه انطلاق بلا أجنحة. فجيلي لم يخلق هناك، وإنما اكتفى برسم صورة الدمار، وشهقة الفقراء ثم راح بعد ذلك، يمجّد كوربا وكفاحها، لأنها تبني قبر اللدجي. ولكن كيف؟

والصياغة التقريرية الكلاسيكية في (كوربا) ترجع إلى هذه النظرية الجزئية للموضوع.

* * *

وفي (يد) نحس ما وراء هذه اليد، وهذه المصافحة، وهذا الموعد. نحس دفء الصداقة، ونحس متناقضات الحياة والصراع. نحس (الحنان الحاقد)، وهو ثورة تبدأ بالحنان، ولكنها تتضمن الحقد. ونحن بالتفاعل المتجاوب بين القادة وال جماهير. القادة ينبعون من الأم الجماهير. ثم يرتدون إلى أحضان الجماهير، يدفعونها إلى الحركة، كما دفعتهم لتخلص نفسها بنفسها!!

وهذه القصيدة الصغيرة، والتي قد تبدو ضئيلة، والتي التزم فيها (جيلي) القافية الموحدة، ففرضت عليه لفظاً أو لفظين... هذه القصيدة القصيرة قمة عالية في الديوان.

* * *

والعمل الفني أو الأدبي إذا قفز إلى الحقائق العقلية وتجاهل صور الحياة التي تكون معرفتنا الحسية بها، الطريق الوحيد إلى هذه الحقائق، لم يغترف من الطبيعة

الحية الزاخرة بالتجارب وبالحركة وبالأشخاص، فإنه يكون عملاً فنياً من جانب واحد، ويغلب عليه الطابع التجريدي وتتأثر صياغته بذلك لأن الصياغة المتحركة لن تبعث فيه الحركة المفقودة في المحتوى.

أما إذا غرق في تصوير الطبيعة والحياة تصويراً حسيّاً، فإنه يفرق في وحل «الطبيعة» لأنه لا يرفع هذه المعرفة الحسية إلى مستوى المعرفة العقلية.

ونحن أحوج ما نكون إلى الدمج بين الصورة الحية، والقيم الإنسانية، المستمدة من مجموع هذه الصور.

وفي هذا يكمل تاج وجيلي الواحد منهما الآخر.

وما أحوجها، وأحوجنا جميعاً، إلى الانطلاق... إلى الحياة الواسعة، وإلى العمال والفلاحين لأنهم أهم حقائق هذه الحياة.

* * *

وما أحوجنا إلى التعبير عن كفاح شعوبنا ضد الاستعمار ومن أجل السلام. فإن هذا الكفاح من أهم حقائق الحياة، ومن أنبل القيم الإنسانية.

ومن صور حياة الشعوب ومن كفاحها للاستقلال والسلام، سنخلق جميعاً، أدباً وفناً جديداً في مستوى أعلى في محتواه السياسي، وفي صياغته الفنية.

وتاج، وجيلي يسيران، ونحن نسير معهم بإخلاص
إلى هذا المستوى.

* * *

وقد حقق تاج وجيلي بهذا الديوان انتصاراً جديداً للقومية
السودانية التي تحارب كالمارد أعداء وجودها المستقل!

وهما يسيران مع جيل جديد من الشعراء السودانيين
ينبعون جميعاً من التراث الغني في الشعر السوداني،
ويضيفون له القدرة الخالقة على الارتباط بالإنسانية كلها
في أشرف معاركها: «التحرر والسلام». وهم يؤمنون
بالشعب السوداني أولاً... مصدر إلهامهم وشعورهم
بالقوة، ويؤمنون بكفاح الشعبين السوداني والمصري
المشترك في المعركة الواحدة ضد العدو الواحد، ضد
الاستعمار. وهذا الديوان ظاهرة من ظواهر هذه الحقيقة
المشرقة.

وبعد... لقد عجزت عن عرض كل النواحي المشرقة
في شعر تاج وجيلي... لقد راغني من تاج قوة دافقة في
الإحساس، وفي تصوير هذا الإحساس. قوة أعمق من
الشعر الذي نقرؤه له، لأنها تختفي فيه، وأحياناً تختفي
وراءه. وراغني منه قدماه الراسختان في تربة السودان.
وعيناه الغارقتان في مأساة بلاده وأزمته هو - ستستمدان
الوضوح من اتصال قدميه بتربة السودان ومن تطلعه إلى
العالم الذي حوله والانطلاق فيه - وعطبرة وما أنتجه

بعدها هو من ثمرات هذا الاتصال.

وراعني من جيلي لوحاته الرحبة، رحابة حياتنا.
وراعني أنني أزداد تعلقاً بلوحاته كلما قرأتها، وإن ألوانها
ليست من التي يبهتها الزمن، بل تزداد مع مروره وضوحاً
ونوراً.

وراعني أنهما من حقائق العبقرية التي تفيض بها
بلادنا، بلاد الشرق المستعمر.
والتي تكتمل قبل الخامسة والعشرين.

كمال عبدالحليم



جيلي عبدالرحمن

شوارع المحينة
أطفال حارة زهرة الربيع
يد
الفجر في قرية
عبري
هجرة من صلي
عزا، في قرية
كوريا



وذاٲ يوم أطبقت عمار المآنة!

شوارع المدينة



شوارع المدينة المخضوبة البيوت
بالدخان والزيت!!
حاراتها الجرداء. في أحنائها الشقاء
والياس. والرجاء
والحزن والسرور
قهقهة (الشغيلة) المحنية الظهور
محمومة الصدور!
ترن كالصخور... في مصنع يدور
وتبعث الأضواء للقصور... للفقور!
تشيد الجسور والرخام
وتفرش الحصى والظلام
لكنها تدور...
وتعشق الزحام!

شوارع المدينة المخضوبة البيوت
بالدخان والزيوت
نعيش في أعماقها.. نعيش لا نموت

* * *

وذاث يوم أطبقت عمائر المدينة
كالموج في المحيط... يقتلع السفينه
وأرسل (الإله) في حاراتنا عيونه
فاقتطعوا الطريق. ثم شيدوا الأسوار
وعذبوا الإنسان كي يمزقوا الأنوار
ودقت الأبراج في الكنائس القديمه
أجراسها الحزينه!

وكنت والرفاق في النهار نستعيد
ونسأل الصباح في ابتهالة العجوز
حزمتين من ضياء!

ويزحف الغروب والمساء كالسجون
يللمم النجوم!

وتضرع القلوب للسماء. يا قمر
تمدد الظلام. وأزهق البشر
ورحت في شباتي أحن للربوع
كالحمل الوديع
وأغمر الحقول والغدير والشجر
بمقطع حزين

ففي صعيد قرיתי لا خوف. لا أسوار
تكلم النهار...

* * *
مشيت في شوارع المدينة الحزينه
أسامر العيون

وفي الفناء حول قصر المالك الكبير
تكوم الرعاع... وأخوة جياع
يسعلون.. يضحكون!!

وأبصرت عيناى في مفارق الطريق
صبية عنيدة مقطوعة الذراع
تموج في الصراع!

والناس في الصقيع يحلمون بالربيع
وعدت من هناك من نقاوة الحقول
وهمسة الغدير

أبارك الجموع!

قهقهة (الشغيلة) المحنية الظهور
محمومة الصدور!

ترن كالصخور. في مصنع يدور
تنور النشيد..

شوارع المدينة المخضوبة البيوت
بالدخان والزيت!

تعيش في أعماقها تعيش لا تموت

* * *



«وصابره» في وجه استدارة الريال!



أطفال حارة زهرة الربيع

حارتنا مخبوءة في حي عابدين
تطاولت بيوتها كأنها قلاع
وسدت الأضواء عن أبنائها الجياع
للنور. والزهور. والحياة.
فاغرورقت في شجونها وشوقها الحزين
نوافذ كأنها. ضلوع ميتين!
وبابها. عجوز!!
وفوق عتمة الجدار
صفيحة مغروسة في كومة الغبار
تأكلت حروفها لكنها تضوع
(زهرة الربيع)
وفي البكور يخرج الرجال
أقدامهم منهوكة. وصمتهم سعال

يدعون للإله في ابتغال
يا إله...

افتح لنا الأبواب.. وسهل الأرزاق
وتختفي أقدامهم في زحمة الحياة
ويصخب العراك في شتائم يدور
وبائع الكرات والجرجير.

ينغم النداء
في صوته انطلاقة الحمام في السماء
يختال كالأوز في القرى
فيهذا السباب!

* * *

وترسل البنات من نوافذ البيوت
أشذاء أغنيات
تحن للنيون والعبير.
في عالم بعيد..

وللعريس وهو في ثيابه يمس
وتورق الألحان في القلوب
فتنسج الكروم من أشعة النهار
لزهرة الربيع!

حارتنا مخبوءة في حي عابدين

* * *

أطفالنا في الصبح يمرحون كالطيور
يبتنون في السدود. يقفزون كالقروود
محمد عيونه الشهيدة الصفاء
تخضل بالحنان!

«وصابر» في وجهه استدارة الريال
«ورفعت» بأنفه يدب كالمنقار
وأخته كالنور ياسمين

في رجلها خلخال!
وذاث يوم مشرق السناء كالبللور
تجمعوا كأنهم بدور
«محمد» يحكي لهم في لثغة العصفور
عن راكب الحصان في الميدان
والماء من نافورة تضاء
ينساب للسماء

والشجر المخضوضر الكثير...
حارتنا يا إخوتي تمتد كالثعبان
ووالدي هناك عبر شارع مسحور
بيوته قصورا!

يبيع في ملابس النساء والرجال
وصاحب الدكان...

خواجة دماؤه حمراء كالبطيخ!!
فقالت الأطفال. يا سلام..
وأطرقت «ياسمين» في براءة الملاك

لتنقطر الكلام مثل زهرة تفوح
أريد من أبيك يا محمد فستان
وهام في وجوههم سؤال!
وانزلقت عيونهم في ثوبه القديم!
وطافت الهموم فوق رأسه الصغير
ورفت الدموع
وحين عاد كالأسى الرجال
أقدامهم معروقة. وصمتهم سعال
وحط كالغيوم في حارتنا الظلام
تناغت العيال في الأعشاش
يسألون في العشاء عن قصور
وراكب الحصان في الميدان
والشجر المخضوضر الكثير
وانهمرت دموعهم. في زهرة الربيع
«محمد» ينام. والأطفال. والأحلام!
حارتنا مخبوءة في حي عابدين
تطاولت بيوتها كأنها قلاع
ويابها عجوز
وفوق عتمة الجدار
صفيحة مغروسة في كومة الغبار
تأكلت حروفها لكنها تضيع
«زهرة الربيع»

يد



يدك التي هزت يدي
بالأمس .

بعد الموعد . . .

كانت تسيل من الحنان الحلو والأمل الندي
وترعرعت في راحتها كل آمال الغد
في كل ما ادخر الزمان إلى الورى من سؤدد
ما زلت أملاً خاطري منها كقبة والد

* * *

يا كم تفجر من حنانك في ضميري
باليد!!

ويفور قلبي يا صديق . يفور مثل الموقد
ويظل يخنقه السؤال
عن الحنان الحاقدا!

كيف احتملت لظاه في لفتح النضال المربد؟
وحضنت أحقاد الجياع وصرخة المتشرد
وحملتها في ساعديك
... حملتها. كالمارد!
لتدق أعناق الطغاة.. تدق وجه السيد
وتصيح في سمع الجموع
.. تصيح. لا. لا تسجدي
قومي لتقتلعي المعازل... كالحريق الأسود
قومي قد اختال الظلام لأننا لم نرعد!
قومي لتنبثق الزهور. لتأكلي ولتحصدي
قومي يداً. ترفع يداً
بل ساعداً في ساعد

* * *

كل المعاني يا صديق بقلبك المتودد
كل المعاني في العيون الظامئات إلى الغد
ويعود يلفحني السؤال عن الحنان الحاقدا!

* * *

الفجر في قرية



وترامت في حضن الظلمة
أكواخ. راجفة. جهمة
نامت كي تصحو في الفجر!
ويطل الديك على دور
تجثو. في الليل المصفور
وتهادت أنة طنبور
ما زالت تضرب في الماء
أيد تسقى!

* * *

وينام هناك على السطح
عم سعيد..
والوجه القمحي الطيب
حفنة نور..

وشعيرات كانت ترشح
كالبللور..

عرق الأرض الساخن.

* * *

والذعر عى عين سكينه

ظلل أحلاماً مجنونه

تلك البنت النضره.

كانت تجري خلق البقره

قد ربطتها عند الشجره

فكت عقدها الملعونه

* * *

عم «سعيد» يحضن إينه

في الشفتين. لمعة سمن

«شعبان» ينام كمصفور

زقزق أحلاماً في الغصن

والديك ينط على السور

والعنة تنصت للزير

يقطر ماء.. يقطر ماء!

وترامت في حضن الظلمة

أكواخ. راجفة. جهمة

نامت كي تصحو في الفجر

* * *

والفجر يمد ذراعيه
فوق الخيمة ..
ويمزق موجات ضخمة
فتساقط في الهوة نجمه!
والديك على سطح البيت
شد جناحه ..

ملاح الفجر يرقق،
أفراح الأضواء وأفراحه
فاستيقظ في جحر أرنب
ونباح مبحوح ..
هو كلب الجيران الأجرب
وديونك أخرى!
وتلاقت أشباح تمشي
عبر الدرب. صوب المسجد
وصباح القشدة يا «أحمد»
وصباح الخير.
وتصافحت الأيدي الخشنة

* * *

هو عم سعيد يتتعب
الدودة أهلكت القطنا
يا رب ..
ويلل أرض المسجد

دمع العين!

«يا رب الناظر

هذا الفاجر!

هل يأخذ مني البقره

من أجل جنيهات عشره

وجنيهين!

سأسدها بعد الأذره

إن عشنا . .

يا رب . .»

* * *

كان صباح ملء القرية

حقداً وصراخاً في القلب

يا رب الناظر. يا رب

عم سعيد يحتضن ابنه

والوجه كأرض مستعره

والعين توهجتا ثوره

«أخذوا من داري البقره

والدودة أهلكت القطنا

لم تزهر في أرضي شجره»

والقرية روح تتعذب

حقداً وصراخ في القلب

حتى الأطفال على الدرب

لم تلعب!!
ودجاجات كانت تمشي
وتنقر في الطين على الحب
ونباح. مبحوح. دام
هو كلب الجيران الأجرب



فمادبة بلا خيزا



أحن إليك يا عبرى
حنينا ماج في صدري
وأذكر عهدك البسام
عهد الظل. في عمري!
تطوف بخاطري الذكرى
من الأعماق. من غوري
وتبدو في بهاتها
كطيف. خالد. يسري
عليه غلالة سوداء
ذابت في رؤى الفجر
طيوف لست أنساها
ورب يعافها غيري!

* * *

أنا ظمآن يا عبرى
إلى الأمواه والطير
إلى كئبانك الفرقى
هناك... بحافة النهر
يذهبها سنا الشمس
بأكوام من التبر!
ونخلك راقق النظرات
ملء السفح.. والجسر
يطل على ربي النيل
ويحمل أطيب الثمر
غذاء. دائم. حلو
لنا في البرد. والجر
وأطباق مبعثرة
على أكوامك السمر
تلأأ مثل آمال
نمت في جذبة الفقر

* * *

وخلف جبالك الثكلى
عتاة الجن والشر
وأعراب..
والغاز تحير عالم الفكر

تخوفني بها أُمي
تقول طويلة الشعر
وأرجلها من الطين
وأعينها من الجمر!

* * *

وساقية مرنحة
تجرجرها قوى الثور
تدلت أذنه تعباً
من الانهاك. والسير
ويمشي خلفه الفلاح
وهو مقوس الظهر
تغيم بعينه الدنيا
ويلعن ذلة الفقرا
وتجثم خلفها الأخرى
وتشكو قسوة الهجر
أجل قد مات الأبقار
... والمحصول لا يغري
ونجري نحن أغراراً
ونلقي الطوب في البئر
ونبني كوخنا المختار
بالطين. وبالصخر

فمأدبة بلا خبز
وزيجات بلا مهر!

* * *

ويوم غرقت في النهر
وأختي ولولت تجري
وصاح الناس من هول
وماج الجمع في ذعر
وأنقذني من الموت
فتى قد هاله أمري!

* * *

أكلنا لحم تمساح
وذاقنا أرنب البر
وعيشاً قد عرفناه
حشالات من البر
نجهز ذبحة الضان
لعيد الفطر... والنحر!
فنشبع فيهما لحمأ
ونعطي البعض للغير

* * *

أنا ظمآن يا قلبي
إلى صاي... إلى عبري

إلى عنزاتي الصغرى
إلى ليلاتي الغر
أقضيها بلا قيد
مع الأطفال.. والبدر!
سذاجات... وأخيلة
تظللها يد الطهر
نشاوى مثل أسماك
تعم برائق النهر
حنيني جارف. عات
برغم المسلك الوعر
تراثي! كيف أنساه؟
وقد أودعته عبري

* * *



هجرة من صاي

وقفن على الشط كالذكريات
بقلب المعذب والشاعر
وقبلن أمني في وجهها
ولوحن للركب الزاخر
وعمي يبلل رأسي الصغير
بريق الفم. اللاهث الغائر
ولحيته شوكت وجنتي
وداعب شاربه ناظري!
وقال وفي مقتلته دموع
نزلن غزراً على خده
وفي قلبه أمنيات حيارى
يناجي بها الليل.. في سنده!
بني... إذا ما وصلت بخير

وأعطاكم الله من عنده
فقل لأبيك... تذكر أخاك!
تذكره دوماً... على بعده!

* * *

كهول على الشط تحت النخيل
كأشباح أسطورة ساخرة
روتها المياه إلى الشاطئين
مياه. مقهقهة. نائرة
وشيخ يحملق في الواقفين
وروح تحوم في القاهرة
وخلف النخيل... على البعد... ترنو
بيوت مبعثرة خائرة!

وحين تعالى شراع السفين
ليهتك ستر الفضاء الرحيب
ترقرق في العين دمع القلوب
وثم عويل. وصوت رعيب
وعمي يشير بكلتا يديه
وأمي ترد بطرف كثيب
وغاب بنا موكب الراحلين
كخاطرة في ضمير الغيوب!!
أمان تداعب قلب الغلام
وأمي تنغمها كل حين

ففي مصر... فأكهة البرتقال
وفيهما لذائذ... للاكلين!
قصور. تطاول سحب السماء
وتسلب في مرتقاها العيون
وترقص مصر. بأنوارها
وأنوارها تسحر الناظرين

* * *

ورحت ألون هذا الخيال
بريشة أحلامي المبدعة
أظلل في خاطري صورة
مجسدة لأبي بارعة!
ولما تعالى صغير القطار
وزمجر كالقصفة المفزعة
جريت وأمي بدت مسرعه
تساهم في الضجة الممتعة

* * *

ركبنا القطار. فيا للهناء
ويا للنعاء... عناء السفر!
ورحت أحلق بين الحقول
حقول!... وشيء يثير الفكر!
فأين نهاية هذي الزروع!
عجبت عجيب أيجري الشجر؟

وساءلت أُمي في لهفة
فردت عليّ. بروح ضجر

* * *

وكان عناق.. وكان بكاء
فيا للأسى. ليلة دامسة

.....

وعمي. لقد مات عمي هناك
لقد مات فوق حطام جديب
ونحن أقمنا له مأتماً
هنا في الصدور. هنا في القلوب
ونحن حفرنا على أعظم
نمزقها في الأسى والشحوب
حفرنا عليها حروفاً تنير
شعاب الطريق لروح غريب

* * *

ومن فم آبائنا قد رضعنا
أغاني الجحيم. ونوح اللهب
وأنا سنرجع يا صاي يوماً
ونعمر أكواخنا والدروب

* * *



وفي انكسار يطر قون!



عزاء في قرية

ومشيت في الدرب القديم
يضمني الليل الجهوم
ويضم أطراف الحقول. المستكنة... في وجوم
وتطل أعناق الغصون اللاهثات... إلى النجوم
قد راعها ليل الهموم... بلا نهاية لا تخوم!

* * *

وتصوغ أحذية الرفاق الضاربات على الطريق
العازفات مع الصرير... مع الجنادب... والنقيق
لحنا يوقعه السكون
بعالم الصمت العميق...
يتململ الليل السحيق له... ويبلعه بضيق!

* * *

وهناك عبر زروعهم... عبر البيوت النائمة

صوت يلوح كههممه
أو أنة. متظلمه!

وتسير في وسط الطريق... ذبالة متضرمه
قروية تاهت دجاجتها... وتبحث هائمه!
ونغوص في روث البهائم وهو ملقى في الظلم
ويطير نجم في السماء... ويختفي بين السدم
ونرى كلاباً ضامرات... وهي تعوي من ألم
قطعت طريق المعدمين... لعلها تلقى لقم

* * *

وتلوح أكوام المنازل... وهي ترقد كالفتوس
صدئت كحظ النائمين بها وشاخت كالنفوس
وتراقصت كواتها بالضوء... كالأمل العبوس
والليل يجثم حولها... وتطلعت منه الرءوس

* * *

ومضت بنا الأقدام تضرب في الطريق المعتم
غصت حلوق السائرين
ذوى الكلام على الفم!

حتى وصلنا للعزاء... إلى مكان الماتم
وهناك أقعى الواجمون على الحصير المرتسمي

* * *

وعلى الجدار الكهل. أدخنة تعشش في السقوف
وتنحج الشيخ الكفيف فخيم الصمت العنيف

والجرة المكسورة انكفأت . . فأزعجت الخروف
قد كان ينصت في (الزريبة)
والكأبة في رؤاه!!
وتحشرجت كلمات شيخ غضته يد الحياه
يحكى عن الماضي المرير وذكريات في صباه
وتلعثمت فيه الدموع . . . وأرعشت منه الشفاه
قد عاش والفأس الملطخ في يديه
... وحين مات!

قد مات. لم يترك لأشلاء البنين سوى الفتات
قد مات لم يفر هذا الروح! حتى للممات
قد مر كالشيخ المعذب في ليال مرعدات
«إنا إليه لراجعون»
صوت من القلب الحزين
فيغمفمون. ويغرقون!
وفي انكسار يطرقون

ومن العيون الذابلات تضج أحقاد السنين
وعلى الوجوه الشاحبات مرارة العيش المهين



ودلفت. والقمر الطروب يذيب أحزان الشجر
والظلمة الدكناء تخلي الدرب يرغمها القمر
تنسل والنور الدفوق يسوقها بين الحفر

وتماوجت في خاطري صور الصباح المنتظر
وارتاع في قلبي الأسى كسحابة كانت تمر
وذرفت دمعة راهب... وحبت دمعات أخر!



كوريا

فوق الصخور. وهضبة سوداء
قد جللت. بالموت... بالأشلاء
والموت قد سكن التلال وخيمت
أشباحه النكراء في الغبراء...
وبقية من مدفع متهدم
وبقية من جثة شوهاة!
والذكريات تمزقت مذعورة
لكنها احتضنت دم الشهداء
هذا الدم الغالي. تلتطخ في الثرى
في موطن الأبناء والأبناء
بالأمس كانت أمنيات شبابها
والأمس كانت أغنيات نساء
والأمس. كانت في الحقول جداول

أنت. وخضلت الربى بالماء
واليوم لا أرز، ولا طفل هنا
غير الحداد... وشهقة الفقراء!!
والذكريات الجوف... ملء هضابها
ملء الرماد... يذر في الأجواء

* * *

أقسمت لا. يا كوريا. يا كوريا
والشعر مرتعش على أحنائي
أقسمت أنك في سوادك والردى
مضغ القفار وفح في الظلماء...
تبين قبراً للدجى... هذا الدجى!!
ترمينه في الهوة الحمراء
ترمين أسمالي وأحزاني أنا
في ثورة التعساء... والأجراء
فلأنت. أنت اليوم رجع بكائي
وبكاء محرومين من آبائي
ولأنت كالسيل الذي لم ينهزم
ولأنت كالإعصار. كالأنوار
فلتغسليني في ثلوجك كوريا
ولتقذني البركان فوق شتائي!
حتى نغطي الأرض من دمننا لظى
فالأرض لما تصطبغ بدمائي

تاج السر الحسن

ثورة

قصة لاجئ

عيد الفريـب

الكلمن

المسوخ

القمر

الكوف

عطبرة



ورأيت السودان من مدفن التاريخ يصحو كما ارد ذو
عزيمة

ثورة



الظلام الذي يغلف إحساسي ويطوي أنواري الخلاقه
فيغيم السحاب كالغم في قلبي ليمتص في الدجى أشواقه
والنشيد العظيم في قلبي الفؤار تغتاله سنيي المراقه
مثل ينبوع ثورة غاض في قلبي وقيدت في دمي آفاقه
أنا ما زلت ثورة تشعل الفن دماء مشبوبة دفاقه
أنا ما زلت قوة تدفع النور وتطوي الظلام تطوي اختناقه
ساعدي المصفدان بروح الظلم تواقتان للانطلاقه
فلماذا والفن فجر بقلبي ونشيد مجنح وانعتاقه
وسلاح يذود عن حق شعبي فلماذا أظل دون امتشاقه

* * *

والظلام الذي يغلف إحساسي سينهد من عميق كياني
قبضة الفجر مثل «شمشون» تحتاج قلاع القضبان والجدران
وصحارى الظلام يمتصها الفجر بواحاته نضار المغاني

سوف لا تنطوي بقلبي أحزاني ولكن ستنقضي أحزاني
وإذا أيقظ الشيد قوى شعبي ونادى من عمقه سوداني
ورأيت الجموع كالعاصف المحتاح تنقض من جميع المكان

* * *

ورأيت السودان من مدفن التاريخ يصحو كمارد، ذو غزيمه
وجهه ها هنا مع العصر يقظان ورجلاه في القرون القديمه
ولوقع الألوف من أرجل المارد رجع كالثورة المحتومه
والوف الأفواه تهتف عاشت ثورة الشعب للحياة العظيمه
وهضاب الوادي تجيش بهزات ويدوي الصدى بقلب الهزيمه
وعروس الرمال قد عانقت حلفا وضمت سواكن المهمومه

* * *

والشمال الجديب قد قبل السوباط روى أشواقه المحمومه
ومشى المارد الملايين يطوي تحته قوة الظلام اللثيمه
مثلما جوعوه خلف الدياجي وأذابوا قواه تلك الجريمة
مثلما ضللوا الملايين واغتالوا انتفاضات روحها المكتومه
سوف تمتصهم قوى الشعب يوما سوف تنقضي على الحياة الرجيمه
سوف تنقضي على الكهانة والطغيان والموت والدجى والهزيمه

* * *

وهزيم الجموع يملأ سمع النيل سمع الضفاف سمع الوادي
والدوي العظيم كالبعث يحدو كتل الثائرين عبر الوهاد
من وراء السهول من خلل الأدغال من لا نهاية الأبعاد

كتل تحمل السلاح لواء مشهراً تستعيد حق بلادي
كتل تحمل السلاح لسحق الظلم سحق الطغيان سحق الأعداي

* * *

وكانني والشعب في ثورة النصر دماء تسقي الربى المقهورة
وكان الدماء تكتب للتاريخ حرية القوى المأسورة
وكان الثوار قد ظللتهم نفحة من حياة أمس المريـره
حين نادى فتى من الشعب هيا إن نمت نبعث الحياة الكبيره
حين مات الجدود تحت حذاء الظلم تحت الحوافر المغروره

* * *

غير أن الدوي قد عاد قصفاً يحمل الأمس كالقذيفة نارا
ليدق الأعناق أعناق من داسوا جدودي وشردوا الأحرارا

* * *

لزيارة صفحتنا في الفيس بوك اضغط هنا

**WWW.FACEBOOK.COM/
SH١٤٣A**



قصة لاجئ

في أرضك المسحورة المستبابة
والروض نشوان يوشى الحياة
وحقلك المخضر معشوشب
ذابت عليه خفقات المياه
ورنقت في السنبيل الأمنيات
مبيضة مرعشة في رباه
وأنت في الحقل سعيد الرؤى
وسط الحقول الزرق وسط المياه
وسط السواقي وأغاني الحصاد
والطير يشدو وثغاء الشياه
وموكب الرعيان في أرغن الحانه
تنبض قلب الحياة

* * *

تمضي إلى الحقل وفي مقلتيك
عزم ومعنى خالد في دماك
وقد تركت الكوخ في حضنه
صفارك الغر ودنيا صباك
وأنت فرحان تغني هنا
نشيدك الساذج - يحدو خطاك
وزوجك البريئة الطاهرة
تعد ما يشتهي هواك
تطل من كوتها ساهمة
تنظر للدرب عساها تراك

* * *

وامتلأ الجو على فجأة
بطائرات هزيمها كالرعود
وعربدت في الأفق أصواتها
تنذر بالموت ووادي اللحود
وتملأ القلوب أشباحها
وتنشر الرعب بأرض العبيد

* * *

وانسلت الصاعقة المحرقة
عاصفة بالكوخ بالحالمين
بالأبرياء الصغار الألى

لم يعرفوا الشر ولون المنون
بالأم وهي الحلوة الوادعة
ترقص في الدماء بين الأنين
وحولها أطفالها غارقون
في لجة حمراء بيض العيون

* * *

وأنت قد راعك هذا الهزيم
وطوفت في خافقك الهموم
وحولك الدخان مسودة
أجواؤه مربدة كالغيوم
وقلبك المسكين قد راعه
هذا الأسى هذا الجحيم المقيم

* * *

ها أنت تجري مستحثاً خطاك
في الدرب والبارود موت يفسوح
أأنت عند الكوخ من يا ترى أخفاه
ماذا ؟ أين ؟ هلا يلوح
أين علوى ؟ أين طفلي هنا ؟
أين بنتي ؟ أين قلبي الجريح ؟

* * *

لم تبق إلا قطرات الدما
لم تبق إلا فتحات الجروح
وغير أشلاء وجوه صفار
وثدي أم مرتم في النثار
نثار كوخ أحرقت حوله
آماله المؤثلات الكبار

* * *

وعدت والدرب رماد جديد
والعشب مصفر عليه عفار
والحقل محروق وصوت النعيب
يملاً سمع الزهر سمع القفار
وصرخات المشردين الخطى
لعلعة مجنونة وانبهار
وخطوك المشدوه مغرورق
في منحنيات الزرع بين الدمار

* * *

وانجلت العاصفة القاتله
وأنت لا تدري إلا ما تسير
وماتت الأمنية الخافقه
يا ليتها لم تلق هذا المصير
وفي النحيب الصامت الهازج
تمزقت في القلب دنيا السرور

ابنناك والام طيوف تدور
وكوخك المهجور مثل القبور
أصداء قلب فتنته الرؤى
وذبحت آماله والمصير

* * *

ها أنت مثلي في رحاب الحياة
تمشي ولا تدري إلا ما تسير
وأنت مثلي ثورة خامدة
تئن حيرى في رماد السنين
وأنت مثلي إشعاعة عاصفه
تخبو وتبدو في فمي والعيون
فأنت مني ونحن ترنيمة
ونحن صوت يتحدى القرون
لنسمع الخلود أنشودة
رائعة التصوير حرى الرنين

* * *

وسوف نحدو ونغني الشعوب
وسوف ينداح الدجى والظنون
ونبعث المستضعفين الألى
ماتوا هنا في ظلام القرون
وابنناك والام غداً يبسمون

* * *



يا عيد لو كنت أنا فرحة أو كنت فيضاً من كروم.
السرور



عيد الغريب

كليلة فارغة قد مضت . . . ليلته لولا ذبال صغير
والغرفة الغافي بها أمسه مصباحها حي كطفل غريب
وشارع الحارة قد قطعت هدأته أصوات أطفاله
في ليلة العيد وهم يحلمون بالفجر بالزهو بإقباله

* * *

يحتضنون الغد في حبهם للعيد في مقدمه المشرق
والكعك في العيد وثوب جديد منمق في وشيه المورق . . .

* * *

وكل طفل نام . . في جفته أرجوحة تندى بلون الذهب
تنقله كالريح في أفقها . حتى كأن الأرض قرب الشهب

* * *

كليلة فارغة قد مضت ليلته لولا ذبال صغير

والغرفة الغافي بها أمسه مصباحها حي كطفل غرير

* * *

سريره الفارغ والنافذة صامتة تطل عبر الخراب
والمقعد المهجور والمنضدة وصوت مذياع كصوت الاياب
أغنية ينبع منها اللهب من قلب فنان شقي الحياة
كانت تشد الأفق من حوله وتنش الذكرى بدنيا هواه
ويتبع الغنوة صوت حنون... عاشقة زف هواها الربيع
عذراء قد باركها للهوى عشق حبيب خافق في الضلوع
ومن مكان لا تراه العيون... من زحمة الحارات في حيننا
صوت 'هديل' تائه في الضجيج ينسل من أوتار قلبي هنا

* * *

وأقبل الفجر وقد ثرثرت أقدام أطفال على الحارة
وانطلقت تشدو عصافيرها للعيد في شارعنا الصامت

* * *

ألف رداء ألف لون بدت تقفز في الشارع والعطفة
والضحكة الطفلية المحافلة تملأ كل الحي كالبهجة
وشدق طفل دائر كالكرة ينفخ في بالونه الأحمر
وتزدهي أخرى بفستانها بلونه المشجر الأخضر

* * *

كأنهم أخوته عندما يلهون بالبيت البعيد البعيد
والعيد في أعماقهم فرحة حلوى ولهو في دروب النهود

والعيد في أعماقه ذكريات عن ذلك الوادي وأحلامه
والعيد أن يذكر إخوانه وغربة تخبو بأيامه

* * *

يا عيد لما جئت تلك البلاد قبلتها حتى الربى والوهاد
هل فرحت أُمي بذاك المجيء أم نغصتها ذكريات البعاد

* * *

واخوتي يا عيد هل عانقوا فرحة أضوائك عند الصباح
أم ذكروني فيكى قلبهم لغربتي واستسلموا للنواح؟؟

* * *

يا عيد لو كنت أنا فرحة أو كنت فيضاً من كروم السرور
أو كنت عيداً مثلما أنت أو كنت ربيعاً ملء كوني زهور
لما بكت أُمي ومن حولها يهلل العيد ويحيى المرح
واخوتي ما ظل في وجههم هذا الأسى ما مات ومض الفرح

* * *

والغربة الحمقاء هذي العجوز ترتع في الوادي وفي أرضنا
ساحرة تمتص معنى الحياة معنى بقائي في بلادِي أنا

* * *

يا إخوتي خلف امتداد الهضاب وخلف حيدوب^(١) وركب السحاب

(١) جبل.

وشجر اللالوب قد خيمت ظلالها فوق ظهور البيوت
«ونيمتي»^(١) ما زال أيناعها يملأ قلبي بغد لا يموت
محمدًا ما زلت في كل حين أذكر ما أوصيتني من سنين
سيارة تقطع في سيرها غرفتنا في سرعة كالجنون

* * *

وقصة عن فارس ثائر يبحث عن كنز يعيد الحياة
وعن فتى عاش كولد النمير لا يرهب الظلم وفجر الطفلة

* * *

محمدًا أنى سأتي غداً والعيد يأتي في خطى عودتي
والفجر يأتي والصبح الجديد وتضحك الأم لدى ضحكتي

* * *

وندفن الغربة لا لن تكون في الأرض هذه الغربة الشاحبة
نشعلها في النار. نلقي بها تذرهما العاصفة الصاخبة

* * *

(١) اسم شجرة.



جلس السيد الجليل على البهو غريقاً حول الضياء
المزخرف

الكاهن



الضفاف المهدمات يحز الموج في ضلعها وقلب الجزيرة
والنخيل المطل من شفة الشط ظلال على المياه الغزيرة
والسواقي تبكي بلحن كثيب فهمته الجزيرة المقهورة
وسماء الشمال يلهبها الصيف فتذرو أضواؤها المحرورة
وظهور العبيد أثقلها الذل فأحنت رؤوسها المنشورة
والفتوس التي تعانق أيدي البؤس أيدي هذي الوجوه الفقيرة . . .
تسمع الأرض أنه وتسقي زرعها من جهودها المقبورة



وتوارت خلف الحقول بيوت كحبتها بالطين أيد شريده
الجدار الذي لديها خطوط من حبال طينية مشدوده
طبعت فوقها أنامل بناء سقاها أيامه المكدوده . . .
وترف الأبواب عرجاء تعوي ساهمات إلى السهول البعيده
وعليها تجمعت عتبات الطين تشكو خطى الأناس البليده

والبيوت العجفاء لا نافذات غير أشلاء كوة مقدوده
الضياء المحبوس يلقي عليها نقطا من فيوضه المردوده . . .
وكان الدخان مستنقعات داخل البيت والكهوف العديده

* * *

حيث يأوي المعذبون عبيد الحقل حيرى مع الظلام الموحش
بعد أن مصت الحقول عروقا نابضات وساعدا عماد يرعش
ها هنا في الكهوف عادوا ولكن في غد يعرفون من كان ينهش
في غد يعرفون من كان يروي من دماهم احناؤه حين تعطش
فهم اليوم يشعرون ولكن في غد ثورة العبيد ستبتش . . .

* * *

وتعالى خلف البيوت بناء شامخ كالقصور في كبرياء . . .
زوق الجير لونه فهو في القرية بيت مقدس الأنحاء . . .
عشعشت فوقه الخفافيش وامتد نعيب كهملهمات الفناء . . .
غير أن العبيد يأتون للقصر للثم التراب والأرجاء . . .
لم تكن تعرف الجزيرة قبلا كاهنا في القصور عبد رياء . . .
كاهنا هاجرت خطاه بعيدا عند أرض المدينة الغناء . . .
فتلاشت في نفسه صور القرية إلا حينه للعطاء

* * *

نسي القائمين عند الجداول . . .
نسي القابضين أيدي المعاول . . .
غير همس النقود همس السنابل . . .

غير احناء الشريد الذاهل...
غير لثم الحذاء لثم الأنامل...

* * *

وبعيدا عن القرى عن أماسيها بعيدا عن شعبها المغبون
وبعيدا عن الآلى خلقوا النور لتمشي الحياة عبر السنين
وبعيدا عن النخيل المذري في شعاب الدجى هزيل الغصون
وبعيدا حيث الضياء ضرير في قلوب الكهوف عند الدجون
وبعيدا حيث العبيد يغنون دعاء للسيد الملعون...
كان قصر يطل فوق الليالي قمرى الحيطان والتلوين...

* * *

جلس السيد الجليل على البهو غريقا على الضياء المزخرف...
والشريات بالشعاع يشوكن صفوف الظلام أيان تزحف.
قد تنسقن في الحبال صفوفًا وخرير الضياء خيط تكثف
وبدا البهو قد تموج بالأجسام تطفو حول الآله وتلتف.
أغرقت جسمها البدين خطوط من حرير ومن حزام ومعطف
وحشود من العمائم بيض باحثات عن الطريق إلى الكف
باحثات عنها وقد أغرقتهم في ظلام الأمس الضرير المغلف

* * *

كان جمع من الشيوخ وكانت مسبحات تشع بين الأصابع
وبخور يمد أجنحة زرقاء ينفضن عطرهن الذائع
وعيون العبيد ذاهلة حيرى تطلعن للإله المخادع...

وعلى البعد بين حشد الأناشيد ووقع الخطا الرتيب التتابع
وقف اثنان يرجفان حديثا عن صفات الولي رب المنافع
إن سيدي تراه عيني ولكن لا ترى لونه العجيب الرائع
وهمو يهمسون والسيد المنهوم في قلبه تضج المطامع

* * *

وعلى الساحة الكبيرة في القصر جموع من الشباب الغرير...
أغرقتهم طلاسـم السيد المالك في قبوليلها المضفور
فنسوا ما أصاب قريتهم من ظلم هذا المتأله الشرير...
ونسوا أن شعبهم هو رب الأرض أم الزهير أم الخريـر
إنه السيد الكبير سيجلي عن حماها أعداءها للقبور

* * *



تطل على القصر والعشة وتشرق في مروح النسمة

المسوخ



أنا لست جيفة أنا أنة من شعبي المصفود حارقة مخيفه
أنا لست جيفة أنا لست جمجمة كما رسمت أنا ملك الوجيفه
أنا شاعر قلبي تموج به الحياة هنا وريفه
قلبي ربيعي الأسى ذخرت أمانيه الرفيفه

* * *

أنا ها هنا للسفح للمقهى أرنمها قصيدي
وهنا لدنيا البائسين وهبت في فرح نشيدي
يا أيها الأجداد يا من راعها معنى وجودي
فتهافتت في ثورة المصباح كاليأس المبيد
الضوء يعميها فتهوي حول ماضيها البعيد

* * *

نشوانة في قبوها الملتف في أيدي البخور

ألفت أحاديث الظلام وبسمة الأمل الحقيقير
وكناسة الأمل المذابة في التأنق والغرور
والقبو يقبع في الدجى كالحقد في دنيا الشعور

* * *

وتطل في الأفق البعيد مشاعل بيد الحياة
ويجرر التاريخ رجليه على لحن الحداة
ويرن صور البعث في الأفاق في أذن الموات
فتحس وجتها الجماجم وهي غرقى في الرفات
وتعود تمشي في هياكلها وترقص للحياة

* * *

والقبو سوف يروعه وقع الشعاع على الدروب
ومعاول المقهى تفتح للشعاع كوى الوثوب

* * *

ويطل طفل السفح كالأشواق كالأمل الخصب
ليرى أناسا غيبوا في الموت في الماضي الرطيب
ليرى ضلوعاً أحرقتها لعنة الأمل المريب
ليرى مسوخاً شوّهت في نفسها قدس الشعوب

* * *

وكان مسخك بينها أسوان بين يد الدخان
لعبت به الأشباح فاستلقى يحملق في المكان
لا شيء في أعماقه إلا أعاصير الهوان

أو صورة بشرية التخطيط شائهة المعاني . . .
قد أنكرت حب الحياة وأنكرت حتى الأماني
لكنني سأزود عنك مخاوف القبو الهواني
وارد قلبك شاعراً في عمقه حب البريه
ويهز اشعاعي هنا أدغال ظلتك العتية
وتهيكل الأضواء من قلبي أماسيك الشقيه
فتعمود يا ابن الليل فجر يا صباحي الطويه
وتقدس الشعب الذي حطمت فيه الآدميه

* * *

القمر



تطل على القصر والعشة
وتشرق في مروح النسمة
وتملأ قلب الصحارى شعاعا
تراقص في الصخر والذرة
وتهدي قوافلها التائهات
وراء التلال إلى الواحة

وفي الروض تحكي حديث السماء
وترويه للزهرات الحسان
وتغضب من قسوة القاطفين
فتنسيكها فوحة الأبحوان
تحن لضوءك صفصافة
وقد ظللتها يد السنديان
فترسل أشعاعة للبحيرة

مملوءة بالهوى والحنان
فتضحك صفصافة الشط فرحي
بهذا اللقاء وهذا المكان

وفي القصر كم روعتك النوافذ
وكم زاحموك بنور الظلام
تناسوك لما تناسوا الجمال
وضلوا هناك بتيه الحطام
وأما رأوك وقد ذبت
أناملك القصر هذا الركام
تمنوه كنزا من التبر لما
تحجر إحساسهم واستنام

وفي الكوخ بين ثنايا القصب
وعند فم الكوة المعتمه
تفتح صدر البناء الصغير
فعانقت حاصدة نائمه
وبالقرب قام فتاها يصلي
لتأتيهما الليلة القادمة
فينطلقا في دروب الحقول
إلى السفح بين الربى الحالمة
وملا جناحيهما نشوة
بأفاق روعتك الملهمه

وفي عالمي في دجاي الصموت
ترفرف خلف الضباب الحزين
وتملأ نفسي بإشراقه
رمتها القرون لأسدي القرون
كأنك ترسلها شعلة
تنير الحياة وتبني السنين

أهذا طريق الحياة الطويل
وأنت تطل على القافلات
وها أنا ألقى إليك النواظر
والركب قد أنهكته الحياة
فنام - وفي مقلتي سؤال
وفي خفقاتي صدى آمنيات
ستخبو مع الركب عبر القلا
وتذوي على الجسر جسر الممات
ولكن مشعلك الخالد
سيبقى سيبقى طوال الحياة

* * *

الكوخ



ذلك الكوخ ذكريات تلاشت في طوايا طفولتي وصبايا
ذلك الكوخ منزلي وهنا بالأمس كانت معربرات خطايا
كان أنشودة وكنت صداها كنت لحنا وكان لي هونايا
وبقايا خطوي عليه تنادي صارخات إلى لقاي لقايا

ذلك الكوخ في جوانبه أُمي وفيه إخوتي يمرحون بين رحابه
وهنا والدي يجيء مع الليل . . . ليقضي المساء بين شعابه
حيث كنا نقضي الأماسي فرحى في حديث نتيه في خلايه
وأخي جالس يحدق فينا كلما قيل زاد في إعجابه

هو طفل وأخته مثله ترنو-
لقولي مشغوفة مما به
وهي لا ترتضي حديثي حيناً..
فلها أن تردني لصوابه..

وهنا جدتي تسوق الأساطير
وتروي الخرافة السحرية...
وهي تلقي على السرير بقايا
جسد منهك ونفس هنيهة
وعلى وجهها الصغير خطوط
رسمتها يد الزمان الغوية
وعصاها العتيقة الملوية
وارتجاف الأنامل المحنية

كان في سالف الزمان وكانت
قصة الحب قصة الإنسان
كانت الأرض تزدهي بالأمان
كان ابن النمير يعشق ليلي
وهي كانت أميرة للجان

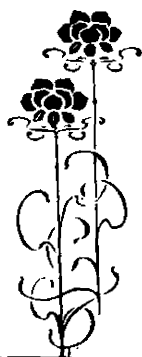
وهنا في شعاب هذا الخيال
عبر آفاق دهره والثواني...
كان يمضي بنا الحديث المثار...
وحين المجهول يدفع فينا
رغبة يستزيدها اصرار...
هكذا هكذا نقضي الأماسي...
بهجة فرحة علينا تدار...

ثم يمشي النعاس في الأهداب
في العيون البريئة المطمئنة

في الوجوه الحبيبة المستكنه
ويغطي السكون حتى الطريق الرحب
حتى ظلاله المرجحنه
وتنام الطيور في الأعشاش
حالمات صغارها في الدجنه
برؤى الفجر بابتسام الصباح
بندى الزهر باللحون المرنه

ويطل الفجر الجميل عليه
وهو قيثاره بيمنى يديه
هو كوخى الصغير مستودع الماضي
ولحنسي الذي أحن إليه
كل ما كان من مشاعري الحرى
وخطوي يخطرن في راحتيه
وهنا ظل - نيمتي - وثره
يدعواني إليه يوما إليه

* * *



عطبرة

مدينة الحديد واللهيب
مدينة الشغيلة الأحرار والنضال
تناثرت من حولها المداخن الطوال
ووجه قاسم المرسوم في القلوب
يطل في سمائها المهيب الكتيب
يقطر الحياة
ويرسم المستقبل المنور السعيد

* * *

مدينة الحديد واللهيب
مدينة الشغيلة الأحرار والنضال
تعيش تخلق الحياة والسلام
وعندما تنام
تحلم دائما بالمشهد العجيب

(سلام) . . . و . . . (الشفيع) . .
وموكب الشغيلة الأحرار والنضال . .
والعلم الذي طوقه الحمام يشقق الظلام
ويبعث اللهب
وقبضة السواعد المفتولة السمراء
تشيد الضياء
وفي الصباح . . .
يفتح المجهول : اشياء لم تكن تقال . . .
شمال أفريقيا تعود تحمل السلاح . . .
ويضرب العمال في مصانع النسيج
في لانكشير
حيث قطننا يباع بالتراب
وأضرب المزارعون في الجزيرة الخضراء

* * *

وموكب الشغيلة الممتد في الطريق
يشارف المصانع الغبراء كال دخان
وعندما تقبل المطارق السندان
وتنزف الدماء
ويستطيل اليوم كالظلال في الغروب
تعود أذرع الرجال
تمتد ما وراء عتمة البحار

تعانق العمال في مصانع النسيج
في لانكشير
حيث قطننا. يباع بالتراب
ووجه قاسم المرسوم في القلوب
يطل في سمائها المهبب الكثيب
يقطر الحياة...

* * *

وفي المساء تمسح الكآبة الوجوه والعيون
مدينة الحديد واللهيب...
تعود تذكر الرجال
أبناءها الذين ماتوا عند حومة النضال

* * *

صلاح...
وهي تحتوي رفاته صلاح
تذكره القلوب في مدينة الشمال
يذكره الرفاق بالسلاح
و... «قرشي» تعرفه مدينة الجنوب
وملتقى النيلين عند مشهد الغروب
والشرطة الذين يرهبون وحدة الجموع
يعرفه الجميع...
حتى الذين يشربون من دم الرعاع

وسادة الاقطاع
يعرفه الرعاع
مضرج بدمه يموت في الصراع...

* * *

مدينة الحديد
حزينة لكنها في وحشة الظلام
وعندما تنام
تحلم دائما بالمشهد العجيب
سلام والشفيع
وموكب الشغيلة الأحرار والنضال
والعلم الذي طوقه الحمام
يشقق الظلام
ويبعث اللهيب
ترتفع السواعد المفتولة السمراء
تشيد الضياء
وفي الصباح
وجه قاسم المرسوم في القلوب
يطل في سمائها المهيب الكئيب
يقطر الحياة

* * *

فهرس

٥	إهداء
٧	تصدير
٩	مقدمة
٢٣	جيلي عبدالرحمن
٢٥	شوارع المدينة
٢٣	أطفال حارة زهرة الربيع
٣٣	يد
٣٥	الفجر في قرية
٤١	عبرى
٤٦	هجرة من صاي
٥١	عزاء في قرية
٥٥	كوريا

٥٧	 تاج السر الحسن
٥٩	 ثورة
٦٣	 قصة لاجئ
٦٩	 عيد الغريب
٧٥	 الكاهن
٨١	 المسوخ
٨٥	 القمر
٨٨	 الكوخ
٩١	 عطبرة

لا إحتكار

الكتب السودانية

زورنا
هنا

www.mortada.org
www.mortada.org
www.mortada.org

